الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: الثانية

المادة: المدارس اللسانية

التخصص: دراسات لغوية

المحاضرة رقم10.

عنوان المحاضرة: المدرسة التوليدية التحويلية 01.

تقرر عند الباحثين اللسانيين أن تشومسكي قد أحدث طفرة في اللسانيات عندما نأى بنفسه عن الدراسات البنيوية، واختط لنفسه منهجا يقوم على العقلانية والتفسير، ويروم الوقوف على قدرة العقل على إنتاج اللغة وفهمها، وقد التف حول أفكاره ثلة من الباحثين والعلماء الذين تبنوا أفكاره ووسعوها.

عُرف عن اللسانيات التوليدية مباينتها لمناهج البحث البنيوي التي تغيت النظر في النظام اللغوي معزولا عن سياق استعماله من جهة وعن جملة العمليات العقلية التي تسبق عمليات إنتاج اللغة من جهة أخرى، وقد نظر تشومسكي في العمليات العقلية المنتجة للغة باعتبارها آليات منفصلة عن بقية الآليات العقلية التي تخص الإدراك والتصور والخيال، وجل العمليات التي هي في صميم أبحاث علم النفس المعرفي، وهو الأمر الذي ولد ردة فعل قوية لدى بعض التلاميذ المستثمرين لمفرزات علم النفس المعرفي، ومن أبرز تلك المفرزات الزعم بأن المعرفة اللغوية تندمج ضمن بقية الآليات العقلية، ويحكمها ما يسمى بالبنية التصورية التي تضم المعلومات اللغوية و غير اللغوية.

1- أسس ومبادئ النظرية التوليدية التحويلية:

ما يميز البحث اللساني عند تشومسكي هو آراؤه اللسانية الصادمة التي أحدثت قطيعة مع اللسانيات البنيوية وخالفتها من حيث الموضوعُ والمنهج، وقد وضع تشومسكي "نظرية لسانية جديدة تختلف في تصوراتها الأساس ومنهجيتها التحليلية للظواهر اللغوية عن النظريات السابقة عليها.كما تتجلى هذه القطيعة في المفاهيم والأدوات الإجرائية الدقيقة التي تم اقتراحها لتناول اللغة باعتبارها ملكة بشرية عامة. وتعيش المحافل اللسانية الدولية منذ (1957)على إيقاع النظرية التوليدية التحويلية وتصوراتها الجديدة في مجال الدراسات اللسانية التي مافتئت تتغير وتتطور نحو مزيد من الضبط و الدقة"[1].

ويقوم تصور تشومسكي لدراسة اللغة على فكرة مُفادها أن اللغة إنما تنتج على مستوى الذهن وأن هناك آليات محددة تولد الجمل اللامتناهية والمقبولة نحويا، ولذلك "حصر تشومسكي في عام 1957 مجال الدراسة في التركيبية وهو يبحث عن بناء نظرية للأبنية اللسانية دون الرجوع إلى لغة مخصوصة ،يطلق عليها اسم النحو وأهم أقسامها يتألف من التركيبية .

فالظواهر التركيبية عنده تنتمي إلى مستوى مخصوص مستقل يتميز عن علم الصيغ وعلم وظائف الأصوات والدلاليات "فالجملة قد تكون حسنة التكوين تركيبيا لكن خالية من الدلالة مثل الجملة التي يوردها الأفكار الخضراء لا لون لها تنمو بعنف ."[2]

إن هذا التحول الذي بدا جليا على يد تشومسكي يعد "ثورة لسانية معاصرة مقرونة بانتقال ابستمولوجي مبرر من العناية بوصف اللغة كموضوع خارجي ،أو ما يطلق

---

[1] – مصطفى علفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص 1.

[2] – كاترين فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة :المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص77.

عليه تشومسكي اللغة الخارجية ،إلى العناية بالكفاية اللغوية كنسق معرفي يعد في العمق آلة صورية تمكن من توليد عدد لا محدود من المتواليات وهذه الآلة عبارة عن خوارزمات توليد وتحليل "[3].

وقد حيَّد تشومسكي في بداية دراساته مستويات الصوت والدلالة وركز على الجانب التركيبي، وهو ما ضمنه في كتابه (البنى التركيبية) الصادر سنة 1957، و جعل من التركيب قطب الرحى الذي تدور حوله النظرية التوليدية التحويلية، وبناء على هذا الطرح فإن التركيب قد اعتبر "منذ بداية النحو التوليدي الخاصية المميزة للغة ، والكون الذي يصبغ عليها طابعها الإبداعي،ويحظى بأعلى درجات التعقيد والتجريد.وكانت الاعتبارات التركيبية أساس صياغة المسائل المركزية والاكتساب الفطري والاستدلال عليها ، بينما أنيط بالصواتة والصرف على أهميتهما دور ثانوي.

وبما أن الدلالة لا يمكن ترميزها من خلال التركيب .فقد تُركت للدلاليين الصوريين الذين لا يهتمون في أغلبهم بالخاصية الذهنية للغة" [4]، ولهذا التوجه مبرراته التاريخية التي تعطيه شيئا من القوة ؛ذلك أن الدراسات اللسانية الأمريكية قد تميزت" باهتمامها الشديد بالدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية ،مقابل إغفال تام لقضايا الدلالة والمعنى، ومعلوم أن هاريس (1909–1993) تلميذ بلومفيلد (1887–1949) وأستاذ تشومسكي،كان هو الآخر يرفض أي إحالة على المعنى

[3] – حافظ إسماعيل علوي، أمحمد الملاخ، قضايا إبستمولجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009م، ص 92.

[4] – محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 15.

في التحليل اللغوي نظرا لصعوبة التحقق العلمي من ماهية الحقائق الدلالية للوحدات اللغوية "[5].

وما لبث تشومسكي أن غير شيئا من آرائه على فترات وبخاصة بعد صدور كتابه (البنى التركيبية) سنة 1957، وقد دفعت لذلك دوافع عدة منها الدراسات الهامة التي قام بها اللسانيان "كاتز" و"فودور" فقد أصدرا "مقالا بعنوان (بنية النظرية الدلالية – the structure of a semantic theory)، تساءلا فيه عن موقع المعنى في نظرية تشومسكي . وفحوى نظريتهما أن ثمة معان يعبر عنها بمستوى صوري من الوصف اللساني مختلف عن البينة النظمية يسمى التمثيل الدلالي وهذا المستوى من البنية اللغوية مقترن بالبنية النظمية بواسطة قواعد الإسقاط مما يعني لزوم العودة – عند إنشاء الجمل – إلى معانيها الأصلية التي صيغت من أجلها ."[6]

وبناء على هذه الدراسات وغيرها ظهر كتاب (مظاهر النظرية التركيبية) الصادر سنة 1965، وقد اتسم نموذج (المظاهر) بتوسع مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية واعتبار الدلالة مكونا تأويليا، ويطلق على هذا المؤلف تسمية (النموذج المعيار) .

والجديد في هذا النموذج أنه يعد "أكثر وضوحا وعمقا في تحليل القضايا اللسانية من وجهة نظر توليدية تحويلية ، بل إنه أكثر نضجا من الناحية التصورية العامة؛ لأنه يتضمن الإطار العام للنظرية التوليدية في أبعادها المختلفة وعلاقتها وموقفها من العديد من القضايا اللسانية الجوهرية، علاوة على جملة من المفاهيم النظرية والإجرائية التي ستشكل أساس التصور التوليدي ؛ فبه عُرفت واشتهرت التقسيمات المعروفة : قدرة إنجاز، وبنية عميقة، وبنية سطحية، والكليات اللغوية، وعلاقة الدلالة

[5] – اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مرجع سابق، ص34.

[6] – نسيمة شمام، النظريات الدلالية في القواعد التوليدية التحويلية مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكر، العدد السادس عشر، ديسمبر 2014، ص102-103

بالتركيب، ودور التركيب في توليد الجمل، واستقلالية التركيب وغيرها من القضايا الهامة التي تسم المقاربة التوليدية إلى اليوم "[7].

وفي مرحلة لاحقة توسعت اللسانيات التوليدية التحويلية عند تشومسكي نفسه وهي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة (النظرية النموذجية الموسعة)، وقد نتجت عن عدم الرضا لدى تشومسكي، "خاصة بعد الانتقادات التي وجهت إليه من قبل علماء الدلالة، فأعاد النظر من جديد في نظريته وعدلها وذلك بوضع فرضيات جديدة لتبسيط القواعد التوليدية التحويلية، وللتغلب على المشاكل ربط تشومسكي التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية على حد السواء، وذلك من خلال :

أ- قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

ب- قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية ."[8]

ثم ظهرت نظرية المبادئ والوسائط(1981م) ضمن التيار اللساني التوليدي، ولها جملة من المبادئ التي تميزها عن غيرها.[9]

وفي آخر تطورات اللسانيات التوليدية ظهرت النظرية الأدنوية (البرنامج الأدنوي) (1993-1995)، ومن خصائصه المميزة أنه جاء لتبسيط النظرية التوليدية، وهو "امتداد لنظرية العمل والربط، من جهة الكشف عن الخصائص العامة للملكة اللغوية وتدقيق آليات اشتغالها، والمبادئ العامة المتحكمة في بنائها "[10].

تلك هي أهم المحطات التي مرت بها اللسانيات التوليدية، ثم إن الوقوف على تفاصيل ودقائق هذه النظرية يستلزم بحوثا موسعة تروم وضع أهم المحطات التاريخية التي مرت بها اللسانيات التوليدية في سياق البحث العلمي الدقيق الذي

---

[7] – اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مرجع سابق، ص 96

[8] – نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة دط، دت ، ص161.

[9] – ينظر : اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص 197، 198.

[10] – اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص365.

يقرب مفاهيمها ويجلي مصطلحاتها، وهو ما لا يمكن عرضه في مقال يروم وضع اللسانيات المعرفية في موقعها الصحيح من اللسانيات التوليدية.

غير أن القول بأن مركزية التركيب تعتبر أهم ركيزة قامت عليها اللسانيات التوليدية في كل محطاتها التاريخية وفي كل التطورات الحاصلة لا يعد – في نظرنا– مجازفة؛ ذلك أن أهم الانتقادات التي وجهت للسانيات التوليدية إنما ركزت على هذه النقطة وجعلت منها منفذا للطعن على نظرية تشومسكي، كما فتحت الباب واسعا نحو مجالات جديدة من الدرس اللساني الذي يخص اللغة في بعديها الذهني والبشري .

وبعد هذا العرض الموجز لمسار اللسانيات التوليدية في محطاتها التاريخية نعرج الآن على اللسانيات المعرفية لبيان الصلة المفترضة لها باللسانيات التوليدية من عدمها .

ولعل خير من يمثل هذا الطرح هو اللساني الأمريكي "راي جاكندوف" الذي عُدَّ واحدا من رواد اللسانيات المعرفية، وقد "تتلمذ على يد تشومسكي وغيره من كبار علماء اللغة، ثم انتقل إلى دراسة علم النفس والفلسفة والموسيقى، وهو يدرس حاليا في جامعة توفتس بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يدير بمعية "دانيال دينات" معهد العلوم العرفانية، بعد أن ترك جامعة برانداييس"[11]

ويحسن قبل تمييز المباحث التي خالف فيها جاكندوف ومن سار على نهجه أن نعرج على اللسانيات المعرفية بيانا وتوضيحا.

[11] – راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص5